﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ٢٥﴾ [النور:25]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الـــحـــقُّ ﷻ يُجازي كلَّ نفس بما كسبت

هذه الآيةُ لها صلةٌ واضحة بالآية السابقة ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾؛ إذ إنَّه في هذا اليوم الذي تشهدُ فيه تلك الجوارح يوفّيهم اللّه ﷻ حسابهم وجزاءهم الحقَّ على أعمالهم[1].

فـ"الآيةُ السابقة كانت مشتملةً على الإثبات يوم القيامة، وأنَّه كان من جوارحِهم التي تشهد عليهم، وهي شهادةٌ صادقةٌ، وهذه الآية تبيِّن الحُكمَ، وهو العقاب الشَّديد"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُوَفِّيهِمُ﴾: (وفى) أصلٌ يدلُّ على إكمال وإتمام، ومنه الوفاء: إتمامُ العهد وإكمال الشرط، والتَّوفيَة: التَّتميم، والإيفاء بالشَّيء: قضاؤه وافيًا، وتوفَّيت الشيءَ، واستوفيتُهُ؛ إذا أخذتهُ كلَّهُ حتّى لم تترك منه شيئًا، ومنه يقال للميّت: توفّاه اللّه[3]، ومعنى التوفية في قول اللّه تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ﴾، أي: يُكمل اللّه حِسابَهُم، ويتمِّم جَزاءَهُمُ الحَقَّ على أَعْمالِهِم[4].

2) ﴿دِينَهُمُ﴾: (دين) أصلٌ واحد إليه ترجع فروعه كلُّها، وهو جنسٌ من الانقياد والذُّلِّ، فالدّين: الطاعة والانقياد، ومنه الحسابُ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 141.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5172.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب الأصفهاني، المفردات، والسّمين، عمدة الحفاظ: (وفّى).
(4) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 231.

والجزاء؛ لكونه أمرًا يُنقادُ له[1]، فهو يُقال، ويُراد به: الجَزاء، فدِنْته بِما صنعَ، أَي: جازيته، وفي المَثَلِ: (كَما تَدينُ تُدان)، أَي: كَما تُجازي تُجازَى، وبحسب ما عملت[2]، والدّين: الشَّريعة والملَّة، لكنَّه يُقالُ اعتبارًا بالطاعة والانقياد للشريعة، فمعنى الدّين في قول الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ جزاءَهم أو حسابَهم، كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [التوبة: 36]، أَي: الحِسابُ الصَّحيحُ[3].

3) ﴿ٱلْحَقَّ﴾: (حقّ) أصلٌ واحدٌ يدلُّ على إحكام الشَّيء وصحَّته[4]، وأصلُه: المطابقة والموافقة[5]، والحقُّ نقيضُ الباطل، وهو: إيجابُ الحكم[6]، وصدق الحديث، واليقين بعد الشَّكِّ، والإحكام، والتصحيحُ[7]، والإثبات[8].

4) ﴿ٱلْمُبِينُ﴾: (بين) أصلٌ واحدٌ، وهو بُعد الشيء وانكشافُه[9]، وأبَنتُ الأمرَ وبيَّنته: أظهرتُه بيانًا، ووضَّحتُه[10]، وبانَ الشَّيء: انفصلَ، وظهرَ ما كان مستترًا منه، ولمّا اعتُبر فيه معنى الانفصال والظهور؛ استُعمل في كلِّ واحدٍ منفردًا[11]، ومن ذلك الفصلُ والتَّمييز جاء معنى الوضوح والظهور؛ لأنَّ المفصولَ المتميِّز عن غيره يُلفِت النظر، وهو المعنى الذي جاءت به كلُّ مفردات التركيب القرآنيَّة عدا الظَّرفِ (بَينَ)[12]، فاللَّفظُ في سياق قول الله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّـهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ يدور حولَ الإظهار والإيضاح والإبانة.

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

في اليوم الذي تشهدُ فيه الجوارحُ على أصحابها، يُجازي الله ﷻ الناسَ بأعمالهم،

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (دين).
(2) الجوهري، الصحاح: 5/ 2118، وابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر، ص: 296.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 354، والسّمين، عمدة الحفاظ: 2/ 35.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حق).
(5) الراغب، المفردات: (حق).
(6) الخليل، العين: (حق).
(7) الأزهري، التهذيب: (حق).
(8) ابن سيده، المحكم: (حق).
(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بين).
(10) السمين، عمدة الحفاظ: (بين).
(11) الراغب، المفردات: (بين).
(12) جبل، المعجم الاشتقاقي: (بين).

جزاءً عادلًا لا ظلمَ فيه، وقتَها يَعلَم الناس، ويعلم الشاكّون أنَّ اللّه حقٌّ، وأنَّ ما وعد به حقٌّ لا ريب فيه[1].

تنكشفُ الحقائقُ يومَ القيامةِ عن أهل الغفلة

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ فصلِ الآية:

في يوم القيامة يُجازى فيه كلُّ إنسان بعمله

فصل بين قول اللّه تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ وبين قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾؛ وسببُ الفصل هو الاستئناف البيانيُّ، الذي عبَّر عنه البلاغيّون المتأخِّرون بشِبه كمال الاتِّصال، فذِكْرُ شهادةِ الأعضاء تُثير في النَّفس سؤالًا عن آثارِ تلك الشَّهادة، فيكون الجواب هو مجازاةُ اللّه على ما شهدت به جوارحُهم[2].

ويجوز أن يكون سببُ الفصل هو كمال الاتِّصال، حيث وقعت جملة ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ بدلًا من جملة: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[3]، وجائزٌ أن تكون عطفَ بيانٍ منها[4].

دلالةُ ظرفَيِ الزَّمان ﴿يَوْمَ﴾ و﴿يَوْمَئِذٍ﴾:

يومُ القيامة مليءٌ بالأهوال الجِسام

ظرفا الزمان ﴿يَوْمَ﴾ من قول اللّهِ تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ من قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ كشَفا عن عظمة ذلك اليومِ، وشدَّة هوله.

فالظَّرفُ الأوَّلُ ﴿يَوْمَ﴾ هو استحضارٌ لهذا اليومِ العظيم الذي ﴿تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ﴾ فيه ﴿أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾، ثم زاد في التَّهويل

(1) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 141.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 192.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 9/ 325.
(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5272.

بقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، أي: إذْ تشهد عليهم هذه الجوارحُ ﴿يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ﴾ جزاءَهم و﴿دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾، وهو ﷻ محيطٌ بكلِّ شيء علمًا وقدرةً، وله الكمال كلُّه[1].

بلاغةُ الإيجازِ في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾:

يحاسَبُ الإنسانُ يوم القيامة على النَّقير والقطمير

في التَّعبير بـ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ من قول الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ إشارةٌ إلى جملة محذوفة، يدلُّ عليها ما قبلَها، ووُضِعَ التَّنوينُ عوضًا عنها، والتقدير: (يَوْمَ إِذْ تَشْهَدُ عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون)، والحذف نوعٌ من أنواع الإيجاز، الذي يجعل التَّعبيرَ مُكثَّفًا، بحيث تُحذَفُ جملةٌ سبقَ التعبيرُ عنها في الآية السابقة، ليُعجَّل بالدخول إلى المجازاة الحقَّة، التي لا يُظلم الناس فيها شيئًا، وفي هذا التَّعجيل ترغيبٌ لفعل الطاعات، وترهيبٌ من المعاصي والمنكرات.

من دلالة التَّعبيرِ بالظَّرف: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾:

يـومُ القيامة هو يومُ توفيَة الأعمال بلا مراءٍ

اختارَ النَّظمُ الجليلُ التَّعبيرَ عن يوم القيامة بقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾؛ لأنَّ ظرفَ الزَّمانِ (يوم) جيء به مضافًا إلى (إذْ) المخصَّصةِ للزَّمن الماضي، والتَّنوين هو تنوين عِوَضٍ، دالٌّ على الجملة السّابقة، فيكون تقدير الكلام: (يومَ تشهد عليهم ألسنتُهم وأيديهم وأرجلُهم بما كانوا يعملون، يوفّيهم الله دينَهم الحقَّ وحسابَهم المستحقَّ)، هذا المعنى هو المدلول عليه بتنوين العوضِ الذي صحِب كلمة الظرفيَّة ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، وهو من أغراض العدول من ذكر يوم القيامة باسمهِ الصَّريح إلى ما جاء عليه النَّظمُ الجليل.

سرُّ إيثارِ لفظ التَّوفية:

لا يُظلم النّاسُ يـوم القيامة مثقالَ ذرَّةٍ

كان النَّظمُ القرآنيُّ من الدقَّة بمكان حين اختار لفظَ التوفية في الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ دون ما يرادفها من المجازاة

(1) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 242.

والإثابة؛ لأنَّ التوفيَة - وإن كانت تدلُّ على المجازاة والإثابة - إلّا أنَّها تزيد عليهما بمعنى المجازاة التامَّة المستوفاة، التي لا تترك شيئًا إلّا وفَّته حقَّهُ، فهي مأخوذةٌ من تَوْفِيَةِ الشَّيءِ، أي: بذلِه وافيًا، واسْتيفاؤُهُ: تناولُهُ وافيًا[1]، فالمجازاة وإن كانت كذلك، إلّا أنَّ اللَّفظ لا يوحي بهذا الاستيفاء، ثمَّ إنَّ في المجازاة معنى المكافأة، وهي المقابلة من كلٍّ واحد من الطرفين[2]، وهذا غير مراد هنا.

ومعنى الاستيفاءِ التامِّ أيضًا لا يوجد في لفظ الإثابةِ، فالإثابةُ من الفعل ثاب يثوب، أي: رجع، والثَّواب: ما يرجع إلى الإنسان من جزاءِ أعمالِه، والثَّواب يقال في الخير والشَّرِّ، لكنَّ الأكثرَ المتعارف أن يكونَ في الخير[3]، فكلٌّ من هذين اللَّفظين لا يؤدّيان ما أدّاهُ لفظُ التوفيةِ في هذا السياق، إنَّها بلاغة القرآن العالية.

عَودُ الضَّميرِ مِن ﴿يُوَفِّيهِمُ﴾، وسرُّ تقديمه:

حسابُ اللهِ يومَ القيامة لا يَظلم الناس شعيرةً

الضَّميرُ المتَّصِل بفعل التوفية في قول الله تعالى: ﴿يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ﴾ جائزٌ أن يعودَ على المؤمنين الذين لَغَوا في عِرض عائشةَ ﵂[4]، وجائزٌ أن يعودَ على عبدالله بن أُبَيٍّ ومن معَهُ من المنافقين والمشركين[5]، وقُدِّم في ترتيب الجملة المفعولُ - وهو الضَّمير من ﴿يُوَفِّيهِمُ﴾ - على الفاعل، وهو اسم الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾؛ لاتِّصالِه بالفعل أوَّلًا، وللتَّركيز على المحاسَبين ثانيًا، فهم المعنيّون بالجزاء والتوفية.

سرُّ إظهارِ الاسم الأعظم ﴿ٱللَّهُ﴾:

الاسـم الأعظمُ يـمـلأُ الـقـلـوبَ خشيةً ومهابةً

أفاد إظهارُ اسم الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ﴾ معنى المجازاة التامَّة العادلة التي لا تبخس الناس

(1) الراغب، المفردات: (وفّى).
(2) الراغب، المفردات: (جزى).
(3) السابق: (ثوب).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 193.
(5) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 27.

شعيرةً، فتزن عليهم الفتيل والنَّقير والقطمير؛ ذلك لأنَّ الله بكلِّ شيء محيطٌ، وبكلِّ ذرَّةٍ عليم، لا يعزب عن علمه شيء في الأرض ولا في السَّماء، فهذه المعاني مستفادة من اسم الله الأعظم ﴿ٱللَّهُ﴾.

ويفيدُ إظهارُهُ كذلك ملْءَ القلوبِ هيبةً تمتلك أقطارها، وملْءَ النُّفوس خشيةً تحول بينها وبين المعاصي، وقد زاد تكرارُ اسم الجلالة بعد ذلك ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ هَيبَةً فوقَ هيبةٍ، تجعل الناس له مُذعِنين.

بلاغةُ اختيارِ لفظِ الدّين:

كما تَدينُ تُدانُ

آثرَ السياقُ القرآنيُّ لفظَ الدّين في قول الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾؛ لأنَّ الدّين من معانيه المجازاة، ومنه: كما تدين تدان، ومن ثمَّ، فإنَّ لفظ الدين أخوَفُ للنُّفوس؛ لأنَّها تعلم يقينًا أنَّ ما تفعله في الدُّنيا ستُجازَى عليه يوم القيامة.

بلاغةُ إضافةِ الدّين إلى الضَّمير:

تسليطُ ضميرِ الحساب على المعنيّين بالتحذير والوعيد

علَّةُ إضافةِ الدين إلى المنافقين والمشركين - باعتبار عَود الضَّمير إليهم - في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ كامنةٌ في تحديدهم، وتسليطِ الضَّمير عليهم، فيوفّيهم جزاءهم الحقَّ الذي استحقّوه بأقوالهم الآثمة[1]، وهذا يبعث في القلوب وجَلًا، يجعلهم يبادِرون إلى التبرُّؤِ من الشِّرك والنفاق والقذف.

سرُّ وصفِ الدين بالحقِّ:

جزاءُ اللهِ قائمٌ على الحقِّ

لمّا وصف الله سبحانه الدّين بالحقِّ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾؛ كان معناه: الجزاءَ العادل، الذي لا ظلمَ فيه، فوُصف بالمصدر للمبالغة[2]، فمن معاني الحقِّ: الثُّبوت، يقال: حَقَّ الأَمرُ يَحِقُّ ويَحُقُّ حَقًّا وحُقوقًا: صارَ حَقًّا، وثَبت، وحَقَّ عليه

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5172.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 192.

القولُ، وأحْقَقْتُهُ أنا[1]، فالمصدريَّة مرعيَّةٌ في هذا الوصف؛ لأنَّ الحقَّ قد يُراعى فيه معنى الاسميَّة، فهو معدودٌ من أسماء الله الحسنى.

نكتةُ وصلِ ﴿وَيَعْلَمُونَ﴾:

العلمُ المتأخِّر عن وقته لا ينفع

الواو العاطفة في قول الله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ عَطفت هذه الجملةَ على الجملة السابقة: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾، وسرُّ هذا الوصل هو ما عبَّر عنه البلاغيّون بالتوسُّط بين الكمالَين، حيثُ اتَّفقت الجملتان في الخبريَّة لفظًا ومعنًى.

فالوصل يدلُّ على أنَّ الوقت الذي يحاسِبهم الله تعالى فيه على أعمالهم، فيه أيضًا يعلمون أنَّ الله هو الحقُّ المبين، لكنَّ هذا العلمَ لا ينفعهم، فقد فات الأوان، وانصرم الزَّمان، ولم يبقَ إلّا (كما تدين تدان)، فالوصلُ داعي الناسِ إلى التزوُّد بالتَّقوى، لينجوا من هول يوم القيامة.

دلالةُ ضميرِ الفصل ﴿هُوَ﴾:

العدلُ الإلهيُّ يُطَمئِن القلوبَ المؤمنة

ضميرُ الفصلِ في قول الله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ أفاد معنى الحصر، أي: يعلمون أنَّ الله وحدَه الحقُّ، الثابتُ أمرُه، فلا أمرَ لأحد سواه[2]، فإذا روعي في لفظ ﴿ٱلْحَقُّ﴾ معنى المصدريَّة؛ كان الحصرُ غيرَ حقيقيٍّ، لعدم الاعتداد بالحقِّ الذي يصدر عن غيرهِ من الحاكمين؛ لأنَّهم معرَّضون للخطأ والتقصير، وإن روعي في لفظ ﴿ٱلْحَقُّ﴾ معنى الاسميَّة؛ كان الحصر حقيقيًّا؛ لأنَّه لا يُسمّى بلفظ الحقِّ غيره تعالى[3].

وهذا الحصرُ يجعل الإنسانَ يستعدُّ ليوم القيامة بالأعمال الصالحة؛ لأنَّ أعماله ستُعرَض على الحقِّ العادل الذي لا يُظلَمُ عنده أحدٌ.

(1) ابن منظور، لسان العرب: (حقق).
(2) البقاعي، نظم الدرر: 5/ 249.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/ 193.

سرُّ تكرارِ لفظ ﴿ٱلۡحَقُّ﴾:

الـحـقُّ ﷻ لا تَـضـيـع عـنـده الحقوق

كُرِّر الحقُّ مرَّتين، مرَّةً في قول الله: ﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ﴾، ومرَّةً أخرى في قوله: ﴿وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾، وهذا التَّكرار فيه تقريرٌ وزيادةُ تأكيد على أنَّ الله هو الحقُّ المطلق، الثابت الوجود، العادل الذي لا يضيع عنده إحسانُ المحسن، أو إساءةُ المسيء.

دلالةُ مجيء ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ مصدرًا معرَّفًا:

الـحـقُّ سبحانه يحاسِب الناسَ بالعدل

في قول الله تعالى: ﴿وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾ "وصفُ الله بِأَنَّه الحَقُّ، وهو وصفٌ بالمصدر؛ لإفادة تحقُّق اتِّصافه بالحق[1].

وعُرِّفَ ﴿ٱلۡحَقُّ﴾؛ لإفادة القصر، وقد صرَّح الآلوسيُّ بمعنى الحصر المأخوذِ من تعريف الطَّرفين وضميرِ الفصل[2]، وقصْرُ صفةِ الحقِّ على الله تعالى يُطَمئِن القلوبَ، فمِن صفات الحقِّ سبحانه العدلُ، الذي لا تضيع عنده مثقالُ حبَّةٍ من خردل.

علَّةُ وصفِ ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ بـ﴿ٱلۡمُبِينُ﴾:

إثـبـاتُ الـكـمـال المطلَقِ لله ﷻ

جاء وصفُ الحقِّ بالمُبين في قول الله تعالى: ﴿وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾؛ ليدُلَّ على أنَّ اللهَ وحدَهُ هو الحقُّ، وأنَّ أمره حقٌّ لا شكَّ فيه، وأنَّ ألوهيَّته وعلمه وقدرته وتفرُّدَهُ بجميع صفات الكمال، وتنزُّهَه عن جميع سِمات النقص، من الوضوح بحيث لا يُنكره إلّا جاهلٌ أو جاحد، وهذا يجعل المفرِّطين يندمون على ما فعلوا في الدُّنيا من تقصيرهم في أمر المراقبة جرّاء غفلتهم[3].

سرُّ التَّوكيدات في جملة الفاصلة:

الـحـقُّ الـعـادل يُجازي المحسنَ بـإحـسـانـهِ، والمسيء بإساءته

قول الله تعالى: ﴿وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾ تذييلٌ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 198.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 9/ 326.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 243.

محتشدٌ بأساليب التَّأكيد، أوَّلها: ﴿أَنَّ﴾ المؤكِّدة، وغرضها هنا تنزيل علمهم الحاصلِ قبلُ منزلةَ غير الحاصل، لعدم ترتُّب ما يقتضيه من الكفِّ عن الرمي عليه[1].

فهو تنزيل العالِم بالخبَر منزلةَ غيرِ العالم[2]؛ لأنَّهم لم يعملوا بمقتضى عِلمهم، ولم يتورَّعوا عن الخوض في عِرض عائشة ﵂، فالمؤمنون الذين خاضوا في الإفك - وإن كانوا يعلمون أنَّ الله هو الحقُّ المبين - لم يتورَّعوا عن القذف، فنزَّلهم الله منزلةَ من لا يعلم، وجاء الخبرُ مؤكَّدًا.

وجائزٌ أن يكون العلم هنا راجعًا إلى المنافقين والمشركين، فهم يعلمون أنَّ الله هو الحقُّ المبين وقت أن يجازيَهم اللهُ على أعمالهم، ويوفّيَهم إيّاها.

ومن أساليب التوكيد في الآية كذلك: ضميرُ الفصل ﴿هُوَ﴾، والإخبار عن الله بالمصدر ﴿ٱلْحَقُّ﴾ - إذا اعتبرنا فيه معنى المصدريَّة لا معنى الاسميَّة - والتأكيدُ بالصِّفة ﴿ٱلْمُبِينُ﴾، كلُّ هذه التأكيدات فضلًا عن اسميَّة الجملة الدالَّة على الثبوت تبيِّن "أنَّ من كان هذا شأنه؛ فإنَّه ينتقم من الظّالم لا محالة"[3]، ولا تسقط عنده إساءةُ مسيءٍ، ولا إحسانُ محسن، فحُقَّ مثلُهُ أن يُتَّقى، وتُجتنب محارمُه[4].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

التوفية والمُجازاة والإثابة:

فعلُ التَّوفية في قول الله تعالى: ﴿يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ﴾ من تَوْفيَة الشَّيءِ، أي: بذله وافيًا، واسْتيفاؤُهُ: تناوله وافيًا[5]، وأمّا المجازاةُ؛

التوفيةُ استيفاءٌ للأجر كاملًا غير منقوص

(1) الآلوسي، روح المعاني: 9/ 326.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 193.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 103.
(4) الزمخشري، الكشاف: 3/ 224.
(5) الراغب، المفردات: (وفّى).

ففيها معنى المكافأةِ، وهي المقابلة من كلٍّ واحدٍ من الطَّرفين[1]، والإثابة من الفعل ثاب يثوب، أي: رجع، والثَّواب: ما يرجع إلى الإنسان من جزاء أعمالهِ، والثواب يقال في الخير والشرِّ، لكن الأكثر المتعارف في الخير[2].

فالتوفيةُ تشتمل على معنى المجازاة على التَّمام، بعيدًا عن معنى المبادلة الموجود في المجازاة، وتشتمل أيضًا على معنى الإثابةِ، وهما لا يشتملان على معنى التوفية؛ لأنَّ فيها معنى الاستيفاء الكامل غير المنقوص، وهذا المعنى، وإن كان موجودًا في المجازاة والإثابة، إلّا أنَّ صيغةَ اللَّفظين لا تومئ إليه.

(1) الراغب، المفردات: (جزى).
(2) الراغب، المفردات: (ثوب).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والثلاثون،
سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 36 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 36 : المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-78-5
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8956803 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»